الجوارى فى القصور ، وما تميزت به هذه الحياة من وشايات ... ودسائس ومؤامرات ثم ... ثرثرة نساء فارغات القلب والعقل ... كانت شغوفة بالمعرفة ، تواقة إلى العلم ... علم الدنيا وعلم الدين ولما اكتشف على بك هذا التطلع من جاريته أجزل لها المعونة ، وأحضر لها المعلمين والفقهاء ، وأجادت بفضل معلميها اللغة العربية واللغة التركية ، وطالعت العديد من المؤلفات مما وسع آفاق تفكيرها ، وكانت نفيسة كلما سمعت أنباء أهل العلم ، وكيف تتسع لهم شتى مجالات الصدارة ويؤخذ برأيهم فى كل دقائق الأمور — زادت رغبتها فى المعرفة ، لا لتكون فى مكان من تعظ ، أو توجه أو تفتى ... ولكن فى مجال يرقى بها فوق مرتبة الجارية ، وتحقق لها ما أرادت ... فارتفعت فى عينى سيدها ، وأعتقها وأصبحت زوجته المفضلة عن بقية زوجاته وهن :

١ — السيدة[١] عائشة قادن بنت عبد الله البيضاء ، معتوقة سيده إبراهيم بك الحاكم السابق للبلاد .

٢ — السيدة كلسن خاتون .. وقد توفيت هذه الزوجة فى حياته .

٣ — السيدة منور خاتون .

٤ — أما أحبهن إلى نفسه ، وآثرهن إلى فؤاده ، فكانت السيدة نفيسة خاتون[٢] التى حررها وتزوجها ، واهتم بتعليمها حتى أصبحت سيدة مصر الأولى فى عهدها . ولم تتمتع امرأة فى مصر فى ذلك العهد بما تمتعت

---

(١) كان من عادات الحكم المملوكى ، أن الحاكم مجرد أن يصل إلى منصب الحكم يتزوج امرأة الحاكم السابق ، أو زوجة سيده ، تكريما له ولذكراه .

(٢) خاتون لقب تركى ، يطلق على السيدة ذات المكانة الرفيعة والأصل المجيد .